(التعريف والنقد)

حول الراهنامج

والأرجوزة المِعْلَقية*

الدكتور صلاح كزارة

شرح أستاذنا الدكتور شاكر الفحام ـ حفظه الله ـ كلمة «الراهنامج» نقلاً عن القاموس المحيط وشرحه تاج العروس في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق (م٦٨/ج١ ،١٩٩٣،ص٧٥-٧٦)، وأورد جملة من الشواهد على استعمال ابن ماجد لمقلوب الكلمة: «الرهمانج»، وذلك في تعقيبه على مقالة الأستاذ إبراهيم خوري عن «الربّان العربي أحمد بن ماجد ومؤلفاته» المنشورة في الجزء نفسه من المجلة المذكورة (ص٥٩-٧٤).

ولكنني أودّ الإشارة إلى ماجاء في كتاب المستشرق الروسي كراتشكوفسكي المعروف بتاريخ الأدب الجغرافي العربي (ص٥٦٤،ط١=ص٦١١،ط٢) من «أنه وُجد في وسط ملاحي الخليج الفارسي والمحيط الهندي والبحر الأحمر إلى جانب هذه القصص والأسفار أدب المرشدات البحرية، وهي ماأطلق عليه اسم «الراهنامج» أو «الرهماني»، وكانت تحوي خبرة الربابنة في جميع المسائل الملاحية بما في ذلك دون ريب

---

* [قرأتُ الكلمة الممتعة التي حبّرها الصديق الدكتور صلاح كزارة، وبدا لي من المستحسن أن أضم إليها تعليقات تزيد في توثيق النص، أو تفصل إشاراته. وجعلتها لحقاً في ختام كلمته/د. شاكر الفحام].

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

مرشدات الطرق البحرية Routier».

ويذكر جورج حوراني في كتابه: العرب والملاحة في المحيط الهندي (ص٢٧٨-٢٧٩) أن دفاتر الإرشادات البحرية التي كان يطلق عليها اسم رهماني تضم الجداول الفلكية وخطوط العرض ومعلومات عن الرياح والسواحل والشِّعاب وكل مايحتاج الربان إلى معرفته، كما يشير آدم ميتز في كتابه: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري (٢/١٠) نقلاً عن ابن ماجد في كتابه: الفوائد في أصول علم البحر والقواعد (مخطوط باريس ٢٢٩٢، الورقة٣ب) إلى أن المعلم خواشير بن يوسف بن صلاح الأركي الذي سافر حوالي عام ٤٠٠هـ/١٠٠٩م في مركب دَبَوْكُرَه الهندي وطاف بسواحل إفريقية الجنوبية كان أول من وضع أصول هذه الرهمانيات[١].

أمّا أول من أشار إليها فهو المقدسي في آخر القرن العاشر الميلادي، وذلك حيث يقول: « وصاحبت مشايخ فيه [أي: في المحيط الهندي] ولدوا ونشأوا من ربّانيين[٢] وأشاتمة[٣]...ووكلاء وتجار، ورأيتهم من أبصر الناس به وبمراسيه وأرياحه وجزائره، فسألتهم عنه وعن أسبابه وحدوده، ورأيت معهم دفاتر يتدارسونها ويعولون عليها ويعملون بما فيها»[٤] ا.هـ

(نقلاً عن حوراني: العرب والملاحة في المحيط الهندي (ص٢٧٩-٢٨٠)، وانظر تعليق المترجم على كلمة أشاتمة في الهامش).

وقد نقل كراتشكوفسكي (ص٥٦٧، ط١=٦١٥، ط٢) تأصيل كلمة «راهنامج» عن المستشرق الفرنسي فران الذي «وضّح بالتفصيل الأشكال المختلفة التي ورد فيها هذا اللفظ وبيّن أصلها. وهو يرتفع أساساً إلى الفارسية الوسطى (البهلوية) «راهنمك» التي تحولت في الفارسية الحديثة إلى «راهنامه». أمّا في الوسط العربي فإلى جانب الشكل العادي «راهنامج»

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

يقابلنا أيضاً الشكل المقلوب « رهمانج » وجمعه «رهمانجات »، والشكل الذي تطورعنه فيما بعد وهو «رهماني»، بل وحتّى أيضاً «رماني»(*). وجميع هذه الألفاظ كان يقصد بها في عهد ابن ماجد ضربٌ من المرشدات البحرية أشبه بالبورتولانات Portulns».

وجلي من هذا التأصيل أن استعمال الشكل المقلوب للكلمة «رهمانج» كان شائعاً ومستعملاً مع الأشكال الأخرى عند المؤلفين في زمن ابن ماجد. وبهذا تنتفي تلك الغرابة التي رآها أستاذنا الدكتور شاكر في استعمال ابن ماجد لهذا الشكل المقلوب الذي ساق خمسة شواهد للتدليل عليه، يمكن إضافة شاهدين آخرين إليها من كلام ابن ماجد نفسه، جاء أولهما في صدر الطبعة الروسية لكتاب ابن ماجد «ثلاث رهمانجات المجهولة» (كذا)، وورد ثانيهما في البيت (٧٢٢) من الأرجوزة الأولى المسماة «السّفالية» في الكتاب نفسه (ص٤٨):

كذلك في رهمانج المقدما ليس له اليوم يبادر العلما(*)

وكتاب ابن ماجد هذا طبعه المجمع العلمي للاتحاد السوفياتي عام ١٩٥٧م بالتصوير الشمسي عن النسخة الوحيدة المحفوظة بمكتبة معهد الاستشراق التابع للمجمع نفسه في لينينغراد. وقد قدّم له وترجمه إلى الروسية وعلق عليه المستشرق تيودور شوموفسكي، ثم حققه وترجم مقدمة

(*) قلت: كذا ورد اللفظ في الترجمة العربية لكتاب كراتشكوفسكي في الطبعتين الأولى والثانية. وأخشى أن يكون هذا وهماً من المترجم، ولعل الصواب هو: «رحماني» بالحاء المهملة. فقد ذكر الباحث حسن صالح شهاب في مقدمة تحقيقه للنونية الكبرى لابن ماجد (ص٨) أنه قارن بشيء من التفصيل في كتابه «علوم العرب البحرية» بين محتويات القديم والحديث من المخطوطات البحرية أو (الرهمانيات) وتسمى عند المتأخرين (الرحمانيات).

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

شوموفسكي وتعليقاته إلى العربية الدكتور محمد منير مرسي، ونشره في القاهرة تحت عنوان: « ثلاث أزهار في معرفة البحار » لأحمد بن ماجد ملاح فاسكودي جاما، عام ١٩٦٩م.

أمّا الأرجوزة المِعْلَقية فقد وردت خطأً باسم (الملعقية) ـ أي بتقديم اللام على العين ـ في مقالة الأستاذ خوري المشار إليها (ص٧٠)، وكذلك في مقالة أخرى له عن ابن ماجد ومؤلفاته منشورة في مجلة التراث العربي بدمشق (العدد٢١، تشرين الأول ١٩٨٥،ص١٧٣).على أن الاسم جاء صحيحاً في مقدمة تحقيق الأستاذ خوري لكتاب ابن ماجد «الفوائد في أصول علم البحر والقواعد» (ص9)، وفي:ابن ماجد الملاح الفلكي للدكتور محمد حسن العيدروس(١/١٦٢).

وترى الدكتورة عائشة عبد الرحمن في كتابها: تراثنا بين ماض وحاضر(ص٩٧) أن الأرجوزة المعلقية ـ بتقديم العين على اللام ـ نسبة إلى [أبي] مِعْلَق السّعدي، جدّ ابن ماجد . وقد ذكره الأستاذ خوري في مقالته بمجلة المجمع (ص٦١) وضبط الاسم بكسر الميم وفسّره بقوله: «قدح ضخم يصنع من جلد الإبل يُملأ بالماء أو الحليب للشرب، ويُعلق على ظهر الراحلة عند قطع القوافل الفيافي».

ولكنّ الباحث حسن صالح شهاب يرى، في مقدمة تحقيقه للنونية الكبري ص٢٨ وفي تعليقه الأول على الصفحة ١٢٨ من الكتاب(٦)، أن المِعلقية نسبة إلى مدينة (ملقة) التي تسمى أيضاً (معلقة)! ولكنه لم يذكر في الموضعين أي مرجع أو مستند أو دليل على ماذهب إليه(٧).

وهذه الأرجوزة المعلقية هي الثانية في كتاب ابن ماجد: (ثلاث أزهار في معرفة البحار ص٥٣ ـ ٦٥)، وعدّتها (٢٧٣) بيت، وجاء في صدرها:

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

« الأرجوزة الثانية المسماة بالمعلقية من بر الهند إلى بر سيلان، وناج باري وشومطرة...» ومطلعها[٨] :

عزمت والعزم حميد في السفر

لاسيمّا من بلدة فيها ضرر

المراجع

١ـ ابن ماجد الملاح الفلكي، للدكتور محمد حسن العيدروس، ضمن كتاب: الندوة العلمية لإحياء تراث ابن ماجد، جـ١+٢، دار حوار،اللاذقية، ١٩٩١.

٢ـ تاريخ الأدب الجغرافي العربي، كراتشكوفسكي،ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم، الطبعة الأولى بلجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٣ـ١٩٦٥، والطبعة الثانية بدار الغرب الإسلامي، بيروت،١٩٨٧.

٣ـ تراثنا بين ماض وحاضر، الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة،١٩٦٨.

٤ـ ثلاث أزهار في معرفة البحار، لأحمد بن ماجد، تحقيق الدكتور محمد منير مرسي، عالم الكتب،القاهرة،١٩٦٩.

٥ـ الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، آدم ميتز، ترجمة الدكتور محمد عبد الهادي أبو ريده ج١+٢، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط٣، ١٩٥٧.

٦ـ العرب والملاحة في المحيط الهندي في العصور القديمة وأوائل القرون الوسطى، جورج فاضلو حوراني، ترجمة الدكتور السيد يعقوب بكر، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة،١٩٥٨ (تاريخ مقدمة الترجمة).

٧ـ الفوائد في أصول علم البحر والقواعد، لشهاب الدين أحمد بن ماجد

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

النجدي، تحقيق إبراهيم خوري وعزة حسن، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٧١.

٨ـ النونية الكبرى مع ست قصائد أخرى، نظم شهاب الدين أحمد بن ماجد، شرح وتحقيق حسن صالح شهاب، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عُمان، ١٩٩٣.

المجلات

١ـ مجلة التراث العربي، دمشق، العدد ٢١، تشرين الأول ١٩٨٥.

٢ـ مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، المجلد ٦٨، الجزء الأول١٩٩٣.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

التعليقات

الدكتور شاكر الفحام

(١) هذا نص عبارة ابن ماجد في كتابه: «الفوائد في أصول علم البحر والقواعد» (ط. مجمع اللغة العربية بدمشق) ص:١٥- ١٦

«...وأخذوا الوصفَ من مؤلفات المعلم خواشير بن يوسف بن صلاح الأركي (وجاءت في إحدى النسخ المخطوطة: الأزكي بزاي)، وهو كان يسافر في عام أربع مئة من الهجرة النبوية وماقاربها في مركب ديوكار الهندي» (وجاءت كلمة ديوكار في مخطوطتي باريس والظاهرية: دبوكره).

(٢) لفظة «ربانيين»، هكذا جاءت في النسخة المطبوعة من كتاب: «أحسن التقاسيم»، ومن المرجح أنها تصحيف لكلمة: « ربابين»، جمع:«رُبّان». جاء في لسان العرب: «ورُبّان السفينة: الذي يجريها، ويجمع ربابين. قال أبو منصور [الأزهري]: وأظنه دخيلاً». وأضاف صاحب التاج: «وقد تصرف فيه فقالوا: تربّن: إذا صار ربّاناً». وكلمة «ربابين» مماشاع في كتب الملاحة. يقول أحمد بن ماجد في مقدمة الحاوية: «الحمد والثناء على الأستاذين، وذكر إشارات يحتاج إليها الربابين...» (مجلة الدراسات الشرقية بدمشق، مج٢٤ص٦، وانظر ص٢٧ رقم ٥٤، ص٣٠ رقم ١٢٣).

(٣) أشاتمة: علّق الأستاذ الدكتور السيد يعقوب بكر مترجم كتاب جورج حوراني على كلمة «اشاتمة»، ومفردها «اشتيام»، فأورد ماذكره

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

العلماء في أصلها، وبيّن معناها والمراد بها.

ويحسن أن نضيف أن البحتري الشاعر قد استعمل كلمة «الاشتيام» في قصيدته التي قالها يمدح بها أحمد بن دينار بن عبد الله، ويصف مركباً كان اتخذه وهو والي البحر، وغزا فيه بلاد الروم، ومطلعها:

ألم تر تغليس الربيع المبكّرِ ... وماحاك من وشي الرياض المنشَّرِ

وقال فيها يخاطب ممدوحه:

غدوتَ على الميمون صبحاً وإنما ... غدا المركب الميمون تحت المظفّرِ

أطلَّ بعطفيه ومرّ كأنما ... تشوّف من هادي حصان مشهّرِ

إذا زمجر النوتيُّ فوق عَلاته ... رأيت خطيباً في ذؤابة منبرِ

يغضُّون دون الإشتيام عيونَهم ... وقوفَ السماط للعظيم المؤمَّر

وقال أبو العلاء المعري في عبث الوليد (ص١٠٣): «الاشتيام: كلمة لم يذكرها المتقدمون من أهل اللغة، فإذا سئل من ركب البحر عنها قال: البحريون الذين يسلكون بحر الحجاز يسمون رئيس المركب: الاشتيام، فإن كانت هذه الكلمة عربية فهي الافتعال من شام البرق، لأن رئيس المركب يكون عالماً بشؤون البرق والرياح، ويعرف من ذلك مالا يعرفه سواه، فكأنه مسمى بالمصدر من اشتام، كما قيل: رجل زَوْر وهو مصدر زار، ودنف وهو مصدر دنف. وفي البحر سمكة تعرف بالاشتيام وهي عظيمة. ويجوز أن تكون سُميت برئيس المركب كأنها رئيسة السمك. وإذا أُخذ بهذا القول فهمزةُ الاشتيام همزة وصل وإن قطعت، فقد جرت عادة أبي عبادة [البحترى] بقطعها في المصادر كثيراً فهو ضرورة، وإن وصلها صار في البيت زحاف قد جرت عادته باستعمال مثله.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وإن كان الاشتيام كلمة أعجمية فألفه ألف قطع كألف إبريسيم وإبراهيم ونحو ذلك».

وفي تاريخ الطبري (سنة ٢٥١هـ/٩:٣٠٦-٣٠٧ دار المعارف بمصر ١٩٦٨):

« ولخمس بقين من صفر دخل من البصرة عشر سفائن بحرية تسمى البوارج، في كل سفينة اشتيام وثلاثة نفاطين ونجّار وخباز وتسعة وثلاثون رجلاً من الجذافين والمقاتلة، فذلك في كل سفينة خمسة وأربعون رجلاً»، وانظر تاريخ الطبري (سنة ٢٦٧هـ /٩:٥٥٨ ، ٥٦٠، ٥٦١).

وجاء في أمالي المرتضَى (حاشية الأصل١:٥٩٤هـ٣): «وفي شعره: وقوف السماط، قال س (ورمز س يعني نسخة سلطان العلماء أبي الرضا فضل الله الحسني الراوندي): وهو الصواب، وكذا قرأتُ على مشايخي[1]. والاشتيام: رئيس المركب، كلمة نبطية».

وفي كتاب المعرّب للجواليقي (ص١٨٣): « اشتيام السفينة البحرية: وهو رأس الملاحين».

وفي لسان العرب (شتم): « والاشتيام: رئيس الركاب »، وجاء في تاج العروس: « والاشتيام بالكسر: رئيس الركاب، عن ابن بري ».

(٤) كلمة المقدسي في كتابه: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم (ط ليدن): ١٠.

(٥) كنتُ سقتُ في كلمتي خمسة شواهد، كما ذكر الأستاذُ

---

(1) هذا تعليق على رواية أخرى وردت في شعر البحتري وتصحيح لها وهي: «وفوق السماط للعظيم المؤمّر».

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الصديق صلاح كزارة، وأشرتُ في الحاشية (مجلة المجمع، مج٦٨، ج١، ص٧٦ حاشية رقم ٥) إلى شاهدين آخرين، أحدهما من أرجوزة ابن ماجد السفالية، وهو الذي أورده الأستاذ صلاح كزارة، والثاني: من حاوية الاختصار.

(٦) لعل الصواب: على الصفحة ١٥٨ من الكتاب.

(٧) من المستحسن أن يتتبع باحث متخصص ماجاء من ألفاظ:«معلقة»، و «ملعقة» و «ملاقة» في آثار أحمد بن ماجد النثرية والشعرية، ويتقصّى ماوقع في المخطوطات من اختلاف في رسمها، ليخلص من بحثه إلى تحديد الألفاظ التي اصطنعها ابن ماجد، وتصحيح المحرف والمصحف منها، ويكشف عن المراد بها.(من مواضع ورودها: مجلة الدراسات الشرقية ـ دمشق/أرجوزة حاوية الاختصار، مج٢٤:ص٣٥ الأبيات ٧٥، ٧٦، ٧٩، ص٣٧ البيت ١، ص٥٢ البيت ٣١، والأرجوزة المعلقية أو الملعقية، مج ٣٩ ـ ٤٠: ص ٨٧ الأسطر ١، ٢، ٣، ٨، ص٩٣ البيت ١٠٤، ص٩٦ البيتان: ١٥٤، ١٥٥، ص١٠١ الأبيات: ٢٥٢، ٢٥٩، ٢٦٢).

(٨) نشرت الأرجوزة المعلقية أيضاً في سلسلة الملاحة العربية الفلكية التي أشرف على تحقيقها الأستاذ إبراهيم خوري. انظر أحمد بن ماجد، الجزء الثالث/شعره الملاحي: الأراجيز والقصائد، الأرجوزة الخامسة: ص١٠٧ ـ ١٢٣، وعدد أبياتها: ٢٧٣بيت. وكان قد نشرها من قبل في مجلة الدراسات الشرقية بدمشق، مج ٣٩ ـ ٤٠، ص٨٧ ـ ١٠٢.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net